

أثر فلسفة الفارابي السياسية في الفكر الإنساني (نماذج مختارة)

إسماعيل فريد متولي إسماعيل*

ismail.farid@mu.edu.eg

ملخص

جاءت فكرة البحث للتقريب عن ماهية فلسفة "الفارابي" السياسية، ومدى علاقتها بظروف عصره وأثرها على الفكر الإنساني: الشرقي والغربي معاً؛ لكي ترد على الفِرَى المنسوبة له ظلماً بأنه كان مثاليًا منادياً بالمدينة الفاضلة فحسب. لذلك جاءت إشكالية البحث للكشف عن ماهية فلسفة "الفارابي" السياسية، ومدى علاقتها بظروف عصره وأثرها على الفكر الشرقي والغربي معاً؟ وقد اعتمد البحث المنهج الاستقرائي من خلال استقراء نصوص فلسفة الفارابي السياسية لمعرفة مدى أثرها على الفلاسفة من بعده، بالإضافة إلى المنهج التحليلي والمقارن. وقد عرضت لأثره على الفلاسفة من خلال عدة قضايا سياسية. وقد توصلت إلي أهم النتائج التي منها: إنَّ في فلسفة السياسة مانت فلسفات لارتباطها بقوميات أو حركات أو أنظمة معينة، بينما كُتِبَ الخلود لفلسفات أخرى؛ لارتباطها بالإنسان ذاته كصانع للأنظمة والحضارات، كانت فلسفة "الفارابي" السياسية من بين هذه الفلسفات الخالدة في كثيرٍ من جوانبها: مثل فكرة الإنسان اجتماعي بطبعه، وفكرة "الحاكم النبي" الذي يجمع في حكمه بين الوحي الإلهي والحكمة البشرية، واستخدام القوة المعتدلة في المدينة الفاضلة التي تدافع عن قيم: الحق والعدل والخير.

الكلمات المفتاحية: الفارابي - المدينة الفاضلة - الحاكم الفيلسوف - السياسة - الأخلاق

* مدرس الفلسفة الإسلامية بكلية الآداب جامعة المنيا

مقدمة

سَتَظَلُّ فكرةُ البحثِ عن الدولة الأكثر عدلاً، وفضيلةً، وسعادةً هي الحلم المنشود لأبناء كلِّ عصر، والمُبْتَغَى الأسمى الذي يطالب به كلُّ الشُّرفاء والأحرار على مرَّ العصور والأزمان.

ولئن كان الفلاسفة، والمُفكِّرون، والعلماء، والدُّعاة يحملون همَّ حماية أوطانهم فكرياً وأخلاقياً من الأفكار المُتطرِّفة والأخلاق المَدمومة، والزُّودِ عنها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، إلا أنَّه عادةً ما يُتَّهم الفلاسفة والمُفكِّرون بأنَّهم يعيشون في أبراج عاجية، ولا سبيماً فلاسفة السياسة الذين وُصِّموا بأنَّهم أصحاب نظريات يوتوبية، أو مثالية، أو خيالية من أمثال: أفلاطون، والفارابي، وتوماس مور،... وغيرهم.

في المقابل، يؤكد الواقع أنَّ البشرية عرفت، منذ القدم، عديداً من: الأفكار، والفلسفات، والمذاهب التي حاول أصحابها من خلالها تشخيص أسباب الخلل، والظلم، والاستغلال في المجتمعات والنظم السياسية وعلاجها. وقد تفاوتت تلك المحاولات بين: تصور مجتمعات ونظم مثالية خيالية يتم القضاء فيها نهائياً على الخلل، وبين معالجات تُركِّز على وسائل إعادة توزيع عائد الإنتاج بوسائل أكثر عدالة مما كان سائداً في تلك المجتمعات، إما انطلاقاً من تعاليم دينية، أو قيم أخلاقية ومبادئ سياسية، ويندرج تحت هذه المحاولات أسماء كثيرة لامعة منها: الفيلسوف اليوناني "أفلاطون" في محاولته المسماة بـ "الجمهورية"، والفيلسوف الإسلامي "أبو نصر الفارابي" في كتابه "آراء أهل المدينة الفاضلة"، والمفكر ورجل الدولة الإنجليزي "توماس مور" في كتابه "يوتوبيا"، والقس الإيطالي "كامبانيلا" في كتابه "مدينة الشمس"^(١).

إذا كانت دراستنا ستعرض لفلسفة "الفارابي" السياسية وأثرها على الفكر الإنساني (الشرقي والغربي) من بعده، فيمكننا أن نتساءل: هل كانت فلسفة "الفارابي" السياسية

(١) محمد محمود ربيع: الفكر السياسي الغربي، فلسفته ومناهجه من أفلاطون إلى ماركس،

الكويت، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٤م، ص ٤٨٥.

كدعوة الأصم في جزيرة نائية لا علاقة لها بالواقع؛ وذلك لقيامها على ركائز المدينة الفاضلة، والبحث عن السعادة في الدولة، وغيرها؟

وهل تعدُّ فلسفة "الفارابي" السياسية تعبيرًا عن حقبة زمنية معينة لا تصلح لعالمنا المعاصر؟ خاصة أنه من فلاسفة العصر الوسيط الإسلامي الذين كانت فلسفاتهم مواكبة لظروف عصرهم وطبيعة بيئاتهم فحسب؟

من هذا المنطلق جاءت فكرة البحث للتعقيب عن ماهية فلسفة "الفارابي" السياسية، ومدى علاقتها بظروف عصره وأثرها على الفكر الشرقي والغربي معًا؛ لكي ترد على الفِرَى المنسوبة له ظلمًا بأنه كان مثاليًا مناديًا بالمدينة الفاضلة، وكأن "الفارابي" كان متجردًا من الواقع المعيش تمامًا، وأنه عاش حياته منغلًا على التأطير النظري فحسب، وهذا ما جعلهم يعدُّونه في مصاف فلاسفة اليوتوبيا والعالم الخيالي المفارق لعالمنا الحقيقي الواقعي، وسوف نثبت بالأدلة القاطعة كيف أنه عاش هموم عصره، وكيف أن دعوته للمدينة الفاضلة ما هي في الأساس إلا معالجة حقيقية لمشكلات عصره السياسية، والتي لا يزال صداها إلى الآن بين فلاسفة الشرق والغرب ومفكرهم.

إضافة إلى التساؤلات آنفة الذكر، دعنا نتساءل: ما أبرز إسهامات الفارابي السياسيَّة في عصره وعبر التاريخ الإنساني من بعده؟ وما دوره في تعزيز التفاهم الفكري بين الشرق والغرب؟ وهل لا زالت لأفكار الفارابي السياسية مكانة في عصرنا الحالي في القرن الحادي والعشرين؟ أو أنها انتهت بانتهاء عصره؟ وما أبرز الشخصيات التي أثَّرت فيها فلسفة "الفارابي" من الفكر العربي والغربي؟ وما علاقة الأخلاق بالسياسة بين الطرح المثالي والواقعي، وعند الفارابي تحديدًا وإلى أيهما كان أقرب؟

إذا كان أرسطو ظل مسيطرًا على الحضارة الغربية حتى القرن السابع عشر، فإن فكر الفارابي لا يزال حاضرًا معنا إلى يومنا هذا. وهذا يؤكد ضرورة قيامنا بتعزيز الوعي بدور دول العالم الإسلامي في بناء التراث الثقافي العالمي عبر التاريخ. **أولاً، إشكالية البحث:**

جاءت إشكالية البحث للكشف عن ماهية فلسفة "الفارابي" السياسية، ومدى علاقتها بظروف عصره وأثرها على الفكر الشرقي والغربي معاً؟ **ثانياً، تساؤلات البحث:**

- تفرعت عن هذا التساؤل الرئيس تساؤلات أخرى أهمها:
- ما أبرز إسهامات الفارابي السياسي في عصره وعبر التاريخ الإنساني من بعده؟ وما دوره في تعزيز التفاهم الفكري بين الشرق والغرب؟
 - وهل لا زالت لأفكار الفارابي السياسية مكانة في عصرنا الحالي في القرن الحادي والعشرين؟ أم أنها انتهت بانتهاء عصره؟
 - وما أبرز الشخصيات التي أثرت فيها فلسفة "الفارابي" من الفكر العربي والغربي؟
 - ما علاقة الأخلاق بالسياسة بين الطرح المثالي والواقعي، وعند الفارابي تحديداً وإلى أيهما كان أقرب؟

ثالثاً، منهج البحث:

اعتمد البحث المنهج الاستقرائي في استقراء النصوص في فلسفة الفارابي السياسية والوقائع التاريخية في عصره، والمنهج التحليلي في بيان تحليل آراء الفارابي ونقدها والتعليق عليها، من خلال كُتبه وما كُتب عنه، والمنهج المقارن في بيان أوجه الاتفاق والاختلاف بينه وبين آراء فلاسفة السياسة الآخرين.

رابعاً، خطة البحث:

تم تقسيم البحث إلى خمسة مباحث، تسبقها مقدمة، وتليها خاتمة على النحو الآتي:

مقدمة: تحتوي على: إشكالية البحث، وتساؤلاته، ومنهجه، وخبطه

تمهيد: المؤثرات السياسية والفكرية في فلسفة أبي نصر الفارابي

المبحث الأول: ضرورة الاجتماع الإنساني وغايته

المبحث الثاني: ماهية السياسة أو الدولة عند الفارابي

المبحث الثالث: المدينة الفاضلة (الدولة المثالية)، والمدن غير الفاضلة

المبحث الرابع: رئيس المدينة الفاضلة/الأول (الإمام/الفيلسوف/النبي)

المبحث الخامس: العلاقة بين الأخلاق والسياسة بين الطرح المثالي والواقعي

الخاتمة: وجاءت مشتملة على أهم نتائج البحث وتوصياته.

ثبت بأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في البحث.

تمهيد: المؤثرات السياسية والفكرية في فلسفة أبي نصر الفارابي

يُعدُّ "أبو نصر الفارابي" [ولد عام (٢٦٠ هـ) (٨٧٤ م)]، في فاراب في إقليم تركستان (كازاخستان حالياً) وتوفي عام ٣٣٩ هـ (٩٥٠ م)، في دمشق سوريا] أكبر فلاسفة المسلمين علي الإطلاق، فقد أنشأ مذهباً فلسفياً كاملاً، وقام في العالم العربي بالدور الذي قام به أفلاطون في العالم الغربي، وهو الذي أخذ عنه "ابن سينا" وعده أستاذاً له، كما أخذ عنه "ابن رشد" وغيره من فلاسفة العرب، وقد لُقِبَ بحق "المعلم الثاني" علي أن أرسطو هو "المعلم الأول"^(١). و"الفارابي" يُصنَّفُ ممن أسسوا لفلسفة سياسية متكاملة، متأثراً بأفلاطون وأرسطو، فهو كما يقول "دي بور": "يصف أميره بكل فضائل الإنسانية، وكل فضائل الفلسفة، فهو أفلاطون في ثوب إسلامي"^(٢).

عاش "الفارابي" في ظل الخلافة العباسية الثانية في عصر اتسم بالنزاعات السياسية والطائفية بين الحكام من جانب، والانقسام الفكري بين المذاهب المختلفة من جانب آخر، فكانت الفوضى والتفكك يدب في أوصال العالم الإسلامي شرقاً وغرباً، أدت إلي تمزيق شمل الأمة إلي دويلات، وإذا بالبصرة تحت سيطرة الديلم، وحلب والموصل بيد سيف الدولة الحمداني، ومصر والشام عند الاخشيديين والأندلس عند الأمويين، ونتيجة ذلك ارتحل الفارابي من بغداد إلي حلب، واستقر في مجلس سيف الدولة، وقد وصف "الفارابي" حال السياسة الواقعية والخلفاء في عصره قائلاً: "إن حال السياسات ونسبتها إلي الأنفس كحال الأزمان ونسبتها إلي الأبدان ذوات الأمزجة المختلفة"^(٣)، وأشار "ابن حزم" قائلاً: "وطئت بساط الخلفاء وشاهدت محاضر الملوك،

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه احسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٧٢م، المجلد الخامس، ص ١٥٣-١٥٦. وقد سُئِلَ الفارابي: أأنْتَ أعلم أم أرسطو؟ قال: "لو أدركته لكنت أكبر تلامذته".

(٢) دي بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة: محمد عبد الهادي أبورية، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د.ت، ص ١٨٤-١٨٥.

(٣) الفارابي: فصول منتزعة، تحقيق: فوزي متري النجار، بيروت، دار المشرق، ط ١، ١٩٧١م، ص ٩٣.

ورأيْتُ تمكَّن المتغلبين على الرؤساء وتحكم الوزراء، وانيساطَ مدبري الدول^(١)، وعابن "ابنُ خلدون" ذلك بقوله: "وكأنما نادى لسان الكون في العالم بالخمول والانقباض فبادر بالإجابة: والله وارث الأرض ومن عليها"^(٢).

من هنا يمكن القول بأن تلك الأوضاع السياسية التي شهدتها الفارابي في عصره، تشبه ما تمر به أمتنا الإسلامية في هذا الواقع المعاصر، حيث تظهر فيه سمة الضعف والفرقة في العالم الإسلامي، وإذا أمعنا النظر في هذه الأحداث وجدنا أنه لن يتم للمسلمين ولا لأمة من الأمم تقدم ولا رقي إلا بالعدل والتضحية، وهو ما أدركه الفارابي عن معالم الإصلاح السياسي والفكري لبناء الدولة ونفعها، إلي تحرير الإنسان من وهم الضعف والاستبداد في نظم الحكم، لتحقيق العدالة والسعادة المنشودة من خلال واجب التضحية، يقول: "ليس ينبغي للفاضل أن يستعجل الموت، بل ينبغي أن يحتال في البقاء ما أمكنه ليزداد من فعل ما يسعد به، ولئلا يفقد أهل المدينة نفعه بفضيلته، وإنما ينبغي أن يُقدِّم علي الموت إذا كان نفعه لأهل المدينة بموته أعظم من نفعه لهم في مستقبل حياته"^(٣).

أما عن المناخ الفكري آنذاك فكان مضطرب، حيث عاصر الفارابي ضعف الخلافة العباسية، والخلاف بين المسلمين حول قضية الإمامة، وما ارتبط بها من صراع جدلي وظهور الفرق والمذاهب الكلامية المختلفة، وتأثره بالفلسفة اليونانية (أفلاطون وأرسطو) في بناء المجتمع الفاضل، ورغم ذلك اتجه حُكَّام عصره بإنشاء مراكز العلم والترجمة، فكانت رحلاته إلي بغداد ودمشق وحلب ومصر، مما كان لها

(١) ابن حزم: رسائل ابن حزم الأندلسي، حققه: إحسان عباس، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ٢، ١٩٨٧م، ١/١٩٦.

(٢) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، حققه: علي عبد الواحد وافي، القاهرة، دار نهضة مصر، ط ٧، ٢٠١٤م، ١/٣٢٦.

(٣) الفارابي: فصول منتزعة، مرجع سابق، ص ٨٤.

بالغ الأثر علي ثقافته، وصياغته لأفكار ونظريات في شتى علوم المعرفة، سواء كانت مشكلات تتعلق بمسائل إلهية أو طبيعية أو سياسية.

فذلك توضيح للمناخ العام للأمة الإسلامية في عصر الفارابي، لأن شخصيته الثقافية قد تشكلت من نتاج تلك البيئة بمختلف جوانبها سياسيًا واجتماعيًا وفكريًا، ولما لها من أثر قوي على تكوينه الفلسفي عامة، والسياسي خاصة. وبناءً عليه، نتساءل: ما أبرز إسهامات الفارابي السياسيّة في عصره وعبر التاريخ الإنساني من بعده؟ وما دوره في تعزيز التفاهم الفكري بين الشرق والغرب؟

المبحث الأول: ضرورة الاجتماع الإنساني وغايته:

١- بدايةً، نجد أنَّ المبدأ الذي انطلق منه فلاسفة اليونان عامة، ومفكرو الإسلام خاصة، يشير إلى أهمية تعاون الفرد في المجتمع وأنه "اجتماعي ومدني بطبعه"^(١)، واستحالة عيشه منفرداً، وذلك من أجل الصالح العام وعمارة الأرض، مصداقاً لقوله تعالى: (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) [الحجرات: ١٣]. وقد ظلت هذه الفكرة سائدة في تاريخ الفكر السياسي طوال العصر القديم والوسيط (الإسلامي والمسيحي)، وحتى عصر النهضة. ولذا، فالإنسان عند "الفارابي" مدني بطبعه، وهو لا يبلغ كمالاته (البدنية والفكرية والروحية) إلا عند وجوده في مجتمع، يقول: "لا يمكن أن ينال الإنسان الكمال الذي لأجله جُعِلَتِ الفطرة الطبيعية إلا باجتماعات جماعة كثيرة متعاونين، يقوم كل واحد لكل واحد ببعض ما يحتاج إليه في قوامه.. في أن يبلغ الكمال"^(٢). فالاجتماع الإنساني فطري وضرورة لا بُدَّ منها، وهو ما

(١) يقول أفلاطون: "الدولة تنشأ لعدم استقلال الفرد بسد حاجاته بنفسه، وافتقاره إلى معاونة الآخرين"، أفلاطون: **جمهورية أفلاطون**، ترجمة حنا خباز، بيروت لبنان، دار القلم، ط ٥، ١٩٨٥م، ص ٥٦. وانظر عبارة أرسطو: "إن الإنسان بطبعه حيوان سياسي، يحب الحياة في جماعة سياسية منظمة، فهو مدني بالطبع" أرسطوطاليس، **السياسة**، ترجمة: أحمد لطفي السيد، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٤٧م، ص ٩.

(٢) الفارابي: **آراء أهل المدينة الفاضلة**، حققه: البير نصري نادر، بيروت - لبنان، دار المشرق ط ٢، (المطبعة الكاثوليكية)، ١٩٦٨م، ص ١١٧. وكتاب **السياسة المدنية (مبادئ الموجودات)**، حققه: فوزي متري النجار، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، ١٩٦٤م، ص ٦٩. ويقول "ابن أبي الربيع": "إنَّ الله عز وجل خلق الإنسان بالطبع يميل إلى الاجتماع والأنس". انظر: ابن أبي الربيع: **سلوك المالك في تدبير الممالك**، تحقيق: ناجي التكريتي، بيروت، دار الأندلس، ١٩٨٣م، ص ١٧٥.

تابعه سائر الفلاسفة بعده، فيذهب "ابن رشد" إلى القول بأنَّ الإنسان مدنى بالطبع^(١)، حيث لا يستطيع تحقيق كمالاته بمفرده إلا من خلال العيش المشترك، فالاجتماع لا بُدَّ من قانون يحكمه، ومن ناموس خلقى يسيطر عليه، وهذا لا يمكن إلا بالفضيلة^(٢)، وهو ما أكدّه "ابن خلدون" بمعنى العمران البشري^(٣).

٢- ولذلك، قرّر "الفارابي" أنَّ غاية الإنسان من الاجتماع هي التعاون والعيش في جماعة سياسية منظمة بفطرته، لبلوغ الكمال، الذي تكون به تحقيق السعادة الحقيقية (الخير الأقصى) في الدنيا والآخرة، وتحقيقها يكون باقتناء الفضائل، لكن لا يستطيع الإنسان أن يبلغها بمفرده دون معاونة أناسٍ كثيرين له، يقول: "المدينة التي يُقصدُ بالاجتماع فيها التعاونُ علي الأشياء التي تتألُّ بها السعادة في الحقيقة هي المدينة الفاضلة، والاجتماع الذي يتعاونُ علي نيل السعادة، هو الاجتماع الفاضل. والأمة التي تتعاون مدنها كلها علي ما تتألُّ به السعادة هي الأمة الفاضلة. وكذلك المعمورة الفاضلة، إنما تكون إذا كانت الأمم التي فيها تتعاون علي بلوغ السعادة^(٤). فالسعادة في نظره هي الهدف المنشود من الاجتماع البشري علي مستوي المدينة أو الأمة أو المعمورة.

(١) يقول ابن رشد: "ليس من الممكن أن توجد الكمالات الإنسانية إلا متفرقة في جماعة، كان كل واحد من أشخاص النوع، يختلف بالفطرة والطبع باختلاف هذه الكمالات"، انظر: ابن رشد: **الضروري في السياسة**، مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ترجمة: أحمد شحلان، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٣، ٢٠١١م، ص ٧٤-٧٦.

(٢) ابن رشد: **تفسير ما بعد الطبيعة**، تحقيق: موريس بويج، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٤٨م، ٤٣/١.

(٣) ابن خلدون: **مقدمة ابن خلدون**، مرجع سابق، ٣٤٠/١. ويقول معبراً عن حقيقة الملك، بأنه "الاجتماع الضروري للبشر.. فوجب أن يُرجع في ذلك إلى قوانين سياسية مفروضة، يُسلمها الكافة، وينقادون إلى أحكامها" المقدمة، ٥٦٢/٢.

(٤) الفارابي: **آراء أهل المدينة الفاضلة**، مرجع سابق، ص ١١٨.

ومن الآثار الفارابية نجدها عند الفلاسفة الغرب في العصور الحديثة، ملاحظات اجتماعية وسياسية قد سبق إلى ذكرها الفارابي، وذلك في أصل نشأة المجتمع، وخاصة فلاسفة العقد الاجتماعي (هوبز) وكذلك (جان جاك روسو) و(أوجست كونت)^(١)

وعلي هذا يمكن القول: بأن ما ذهب إليه فلاسفة اليونان والفارابي من أن الإنسان كائن سياسى ومدنى بطبعه، كان له أثر بالغ على مفكري الإسلام، ومفكري السياسة الغربية الحديثة والمعاصرة فى بحثهم عن ضرورة الاجتماع الإنسانى وجوبه. والسؤال الذي يطرح نفسه، ما ماهية فلسفة الفارابي السياسية، ومدى علاقتها بظروف عصره وأثرها على الفكر الشرقي والغربي معاً؟

المبحث الثاني: ماهية السياسة أو الدولة عند الفارابي:

الفلسفة السياسية محاولة فكرية لمعرفة طبيعة وأسس المجتمع السياسى لأى دولة، لأن الإنسان بطبيعته اجتماعى، وبالتالي لا يستطيع الحياة بمعزل عن الدولة، فالإسلام دين ومدنية، لذلك يري "ابن خلدون" ضرورة أن يكون الحكم خلافة، لأن "حقيقتها النظرُ فى مصالح الأمة لدينهم ودنياهم"^(٢)، لأن الرئيس يحكم فيها "بمقتضى رعايته لمصالحهم فى العمران البشرى"^(٣)، فالخلافة الإسلامية نظام للحكم - ككل النظم - فهي مؤسسة مدنية تقوم علي تحقيق مقاصد ومصالح محددة، كوحدة العالم

(١) حنان عبد السلام العجيلي: دور فلسفة الفارابي وآثارها في الفكر الغربي، مجلة الجامعة، السنة الثالثة عشرة - العدد الثامن والعشرون، (نوفمبر - ٢٠٢٣). ص ١٤٢.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، مرجع سابق، ٥٩١/٢.

(٣) ابن خلدون: المرجع نفسه، ٦٠٢/٢.

الإسلامي، وسيادة الشريعة الإسلامية وتنفيذ أحكامها، والتكامل بين الشئون الدينية والدنيوية، فهي "الحكومة الإسلامية الكاملة"^(١).

والسياسة عند "الفارابي" قصد بها التدبير أو الرعاية، فالقسم الثاني من الفلسفة النظرية عنده "يشتمل علي معرفة الأمور التي بها تحصل الأشياء الجميلة لأهل المدن، والقدرة علي تحصيلها لهم وحفظها عليهم، وهذه تسمى الفلسفة السياسية، (وعلم السياسة)^(٢)، ولهذا جمع "الفارابي" في بنائه السياسي للدولة بين الفكر والممارسة، حيث يقول: "إنَّ أنفع الأمور التي يسلكها المرء في استجلاب علم السياسة وغيره من العلوم أن يتأمل أحوال الناس وأعمالهم وتصرفاتهم، وأن يمعن النظر فيها ويميز بين محاسنها ومساوئها، ثم ليجتهد في التمسك بمحاسنها لينال من منافعها مثل ما نالوا"^(٣)، وهو ما أكده علي وظيفة الرئيس في الدولة بقوله: "ومدبر المدينة، وهو الملك، إنما فعله أن يدبر المدن تدبيراً ترتبط به أجزاء المدينة بعضها ببعض وتأتلف وترتّب ترتيباً يتعاونون به علي إزالة الشرور وتحصيل الخيرات"^(٤)، ويقول: "إنَّ الملك في الحقيقة هو الذي غرضه ومقصوده من صناعته التي يدبر بها المدن أن يفيد نفسه وسائر أهل المدينة السعادة الحقيقية، وهذه هي الغاية والغرض من المهنة الملكية"^(٥)، فأول وظيفة

(١) عبد الرزاق السنهوري: **فقه الخلافة وتطورها لتصبح عصبية أمم شرقية**، ترجمة: نادية

السنهوري، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٣م، ص ٦٥.

(٢) الفارابي: **رسالة التنبيه علي سبيل السعادة**، تحقيق: سحبان خليفات، عمان، الجامعة

الأردنية، ط ٢، ١٩٨٧م، ص ٢٢٥.

(٣) الفارابي: **إحصاء العلوم**، قدم له وشرحه: علي بو ملح، القاهرة، دار الهلال للطباعة

والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ص ٨٧.

(٤) الفارابي: **كتاب السياسة المدنية**، مرجع سابق، ص ٨٤.

(٥) الفارابي: **فصول منزعة**، ص ٥٧.

للرئيس في بناء دولة الفارابي هي إقامة العدل، إذ جعل منزلة الملك والرئيس الأول فيها بمنزلة الإله الذي هو المدير الأول للموجودات وللعالم وأصناف ما فيه^(١).

والأمر نفسه تردد عند فلاسفة الإسلام متأثرين بالفارابي، فنجد "ابن باجه" في حديثه عن التدبير المدني، يقول "وإذا قيل التدبير بعموم قيل في كل الأفعال التي تشمل عليها الصنائع التي تُسمى بالقوى، وقد لخصته في العلم المدني. وإذا قيل بخصوص قيل على تدبير المدن"^(٢)، وهو ما قصده ابن رشد في تأسيسه للعلم المدني بقوله: "قصدا أن نجرد الأقاويل العلمية التي في كتاب (السياسة) المنسوب لأفلاطون في العلم المدني"^(٣). ولهذا، عرّف السياسة بأنها علم تدبير المدنية، فيُطلق ابن رشد اسم الملك والفيلسوف وواضع الشرائع والإمام علي من مهنته أن "يدبر سياسة المدن"^(٤)، وهو ما أكدّه ابن خلدون في وصفه للسياسة بأنها تتمثل في تدبير الشأن العام للدولة والملك في سياق واحد، بأن "الدولة والملك هي صورة الخليفة والعمران.. وغاية للعصبيّة"^(٥).

والسياسة يسميها "الفارابي" بالعلم المدني (جزء من الفلسفة العملية)، وقد عرّفه بأنه العلم الذي "يفحص عن أصناف الأفعال والسنن الإرادية، وعن الملكات والأخلاق والشيم التي عنها تكون الأفعال والسنن، وعن الغايات التي لأجلها تفعل، وكيف ينبغي أن تكون موجودة في الإنسان، وكيف الوجه في ترتيبها فيه علي النحو الذي ينبغي أن

(١) الفارابي: كتاب الملة ونصوص أخرى، حققه: محسن مهدي، بيروت، دار المشرق، ط٢، ١٩٩١م، ص٦٣.

(٢) ابن باجه: تدبير المتوحد، حققه: معن زيادة، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٩٧٨م، ص٣٨-٣٩.

(٣) ابن رشد: الضروري في السياسة، مرجع سابق، ص٧١.

(٤) ابن رشد: المرجع نفسه، ص ١٣٦-١٣٧.

(٥) ابن خلدون: المقدمة، مرجع سابق، ٨١٧/٢.

يكون وجودها فيه، والوجه في حفظها عليه، ويميّز بين الغايات التي لأجلها تفعل الأفعال وتستعمل السنن.. وأن تلك الرياسة لا تتأتي إلا بمهنة ومملكة تكون عنها أفعال التمكين فيهم، وتلك المهنة هي الملكية والملك، والسياسة هي فعل هذه المهنة^(١)، والمتتبع لتصور الفارابي للسياسة نجده يميز بين نوعين: التصور الأول فهي سياسة تُمكن الأفعال والسنن والملكات الإرادية التي من شأنها أن ينال بها الإنسان السعادة الحقيقية، وهي الرياسة الفاضلة، والتصور الثاني ينظر للسياسة بوصفها تُمكن في المدن الأفعال والشيم التي تنال بها ما هي مظنونة أنها سعادات، وهي الرياسة الجاهلة.

والفلسفة المدنية عند "الفارابي" هي ذاتها العلم المدني، موضوعها فحص "الأفعال والسنن والملكات الإرادية وسائر ما تفحص عنه القوانين الكلية"^(٢)، وهي قسمان: الأول يبحث في السعادة والأفعال والسلوك التي تصدر عن الناس في المدن والأمم. والثاني يبحث في رئيس المدينة أو الأمة والسنن التي يضعها. وعليه، فالسياسة أو الرئاسة المدنية في نظره، تُعني بتنظيم شؤون المجتمع وتوجيه أفرادها نحو تحقيق السعادة القصوي، وهو ما قرره ابن خلدون في وصفه للسياسة المدنية بأنها "تدبير المنزل أو المدينة بما يجب بمقتضى الأخلاق والحكمة"^(٣).

ولذلك، فجوهر فلسفة الفارابي السياسية هو "تأسيس مدينة فاضلة" حيث تتعاون أعضاؤها بتوجيه من الرئيس لتحقيق غاية واحدة هي السعادة، لأنها هي "الخير علي الإطلاق، وكل من ينفع في أن تُبلغ به السعادة وتُنال به فهو أيضاً خير، لا لأجل ذاته لكن لأجل نفعه في السعادة. وكل ما عاق عن السعادة بوجه ما فهو الشر علي الإطلاق.. وإذا كان المقصود بوجود الإنسان أن يبلغ السعادة، كان ذلك هو الكمال

(١) الفارابي: إحصاء العلوم، ص ٧٩ - ٨٠. وكتاب الملة، ص ٥٤ - ٥٥.

(٢) الفارابي: المرجع نفسه، ص ٨٢.

(٣) ابن خلدون: المقدمة، ص ٦٢.

الأقصى^(١). فاهتمام "الفارابي" بأن يبلغ الفرد السعادة أو الخير الأقصى-علي نحو ما ذهب أفلاطون وأرسطو- قد دفعه للبحث عن أفضل النظم السياسية التي تمكّن من تحقيق ذلك، كما اهتم بالحاكم الفاضل وتركيزه علي دوره في تحقيق السعادة، والحياة الفاضلة التي تعتبر مطلبًا سابقا لها حيث السعادة هي الغاية القصوى التي ما بعدها غاية^(٢).

من هنا يمكن القول: إنّ السياسة عند الفارابي علم نظري (يدرس طبيعة المجتمع الفضيل والرئيس وغايتها) وفن عملي (كيفية إدارة المجتمع وتشريع القوانين)، فموضوع علم السياسة (العلم المدني) هو نفسه ذلك الذي وضعه أرسطو، بأن يدرس المدينة المثلي والمدن التي يمكن أن تكون أفضل ما يمكن تحقيقه في ظروف معينه.

المبحث الثالث: المدينة الفاضلة (المثالية)، والمدن غير الفاضلة:

يري الفارابي أن المدينة الفاضلة هي "المدينة التي يقصد بالاجتماع فيها التعاون علي الأشياء التي تتال بها السعادة في الحقيقة"^(٣)، فهذه المدينة هي المجتمع المنظم تنظيماً هرمياً يشبه جسد الإنسان السليم من حيث تناسقه وتماسكه وفق نظام معين، يقول "والمدينة الفاضلة تشبه البدن التام الصحيح الذي تتعاون أعضاؤه كلها علي تنميط حياة الحيوان وعلي حفظها عليه، وكما أن البدن أعضاؤه مختلفة متفاضلة الفطرة والقوى وفيها عضو واحد رئيس وهو القلب، وأعضاؤه تقرب مراتبها من ذلك الرئيس.. إلي أن تنتهي إلي أعضاء تخدم ولا ترؤس أصلاً. كذلك المدينة، أجزاؤها مختلفة الفطرة، متفاضلة الهيئات، وفيها إنسان هو رئيس، وآخر يقرب مراتبها من الرئيس"^(٤).

(١) الفارابي: كتاب السياسة المدنية، ص ٧٢ - ٧٤.

(٢) حورية توفيق مجاهد: الفكر السياسي من أفلاطون إلي محمد عبده، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة السابعة، ٢٠١٧م، ص ٢٢١.

(٣) الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة، مرجع سابق، ص ١١٨.

(٤) الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة، ص ١١٨ - ١١٩.

وتشبيهه الفارابي المدينة بأعضاء البدن، نجد نظيرًا له عند أفلاطون وأرسطو، ولذا يشير بأن القوي الطبيعية في الجسم تتأثرها الملكات والهيئات في المدينة (أي المقابلة بين كل جزء من أجزاء المدينة وبين كل عضو من أعضاء الجسم)، والقانون الذي يحكمها هو التخصص وتوزيع العمل، لأن الناس مختلفو الفطر متفاضلوا الهيئات، وهم مراتب وعلي قمته الرئيس، وهو بهذا أسبق من علماء الاجتماع المحدثين، إلي تشبيه المدينة بجسد الإنسان.

ولذلك، انتهى الفارابي إلي اتخاذ دولة الخلافة الإسلامية المتمثلة في قوة مركزية مثلًا أعلى للتنظيم السياسي، وهو ما أكده ابن خلدون في حديثه عن نشأة دولة الفارابي، وتحولاتها من خلال علم العمران البشري، يقول: "وما تسمعه من السياسة المدنية.. معناه عند الحكماء ما يجب أن يكون كل واحد من أهل ذلك المجتمع في نفسه وخلقه؛ حتى يستغنوا عن الحكام رأسًا: ويسمون المجتمع الذي يحصل فيه ما يسمى من ذلك "بالمدينة الفاضلة"، والقوانين المراعاة في ذلك "بالسياسة المدنية". وليس مرادهم السياسة التي يُحمل عليها أهل الاجتماع بالمصالح العامة؛ فإن هذه غير ذلك. وهذه المدينة الفاضلة عندهم نادرة، أو بعيدة الوقوع؛ وإنما يتكلمون عليها على وجهة الفرض والتقدير^(١)، وهو ما وضّحه الفارابي قائلًا "وتبين أن المهنة الملكية الفاضلة تلتئم بقوتين: إحداها القوة علي القوانين الكلية، والأخرى القوة التي يستفيد بها الإنسان بطول مزاوله الأعمال المدنية وبممارسة الأفعال في الاخلاق، والحنكة فيها بالتجربة وطول المشاهدة، علي مثال ما عليه الطب: فالطبيب إنما يصير معالجًا كاملاً بقوتين: إحداها القوة علي الكليات والقوانين التي استفادها من كتب الطب. والأخرى القوة التي تحصل له بطول المزاوله لأعمال الطب في المرضى، والحنكة فيها بطول التجربة

(١) ابن خلدون: المقدمة، ٧٢٤/٢ - ٧٢٥.

والمشاهدة لأبدان الأشخاص.. كذلك المهنة الملكية إنما يمكنها أن تقدر الأفعال بحسب حال حال، ومدينة مدينة، بهذه القوة وهي التجربة^(١).

والسؤال الذي يطرح نفسه، ما إمكانية وجود مدينة فاضلة عند الفارابي؟ وجوابه بإمكانية وجودها من خلال حديثه عن سكان المعمورة متجاوزاً نطاق مدينة أفلاطون وأرسطو، إلي تصويره للأمة الواحدة ثم إلي الجماعة الإنسانية كلها، وذلك من واقع عقيدته، وواقع التجربة السياسية الإسلامية (الخلافة الراشدة) التي شملت أمماً متعددة، يقول "والأمة التي تتعاون مُدنها كلها علي ما تتال به السعادة هي الأمة الفاضلة. وكذلك المعمورة الفاضلة إنما تكون إذا كانت الأمم التي فيها تتعاون علي بلوغ السعادة^(٢)". ويقول أيضاً "والجماعة العظمي هي جماعة أمم كثيرة تجتمع وتتعاون.. والجماعة الإنسانية الكاملة علي الإطلاق تنقسم أمماً^(٣)، فسعادة الإنسان في تصويره تمثل الغاية المطلقة التي يسعى لتحقيقها مجتمع المدينة، والأمة، والمعمورة الفاضلة كلها، وهي هدف وخير في حد ذاتها، ولذلك فالسعادة الحقيقية في رأيه هي التشبه بالخالق، فهي "أعظم الكمال الذي استفاده الإنسان عن الأول^(٤)". ولكن كيف للإنسان تحصيل السعادة؟، وجواب الفارابي بأن هذه وظيفة الحاكم الفاضل بما لديه من قدرة علي الوصول إلي الحقائق، والسبب يرجع "لاختلاف الفطر في أشخاص الإنسان فليس في فطرة كل إنسان أن يعلم من تلقاء نفسه السعادة ولا الأشياء التي ينبغي أن يعملها،

(١) الفارابي: إحصاء العلوم، ص ٨١-٨٢. والملة، مرجع سابق، ص ٧٠-٧١.

(٢) الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة، مرجع سابق، ص ١١٨.

(٣) الفارابي: كتاب السياسة المدنية، ص ٦٩.

(٤) الفارابي: فصول منتزعة، ص ٨٢.

بل يحتاج في ذلك إلي معلم ومرشد^(١)، وهذا هو الرئيس الأول للمدينة الفاضلة، وهو رئيس الأمة الفاضلة، ورئيس المعمورة من الأرض كلها^(٢).

وهو ما تابعه ابن رشد في تصويره لأحوال المدينة الفاضلة، فيقرر إمكانية تحققها على أرض الواقع- وبهذا يتفق مع الفارابي، ويخالف رأي أفلاطون في تصويره بعدم إمكانية وجودها- يقول "وذلك كما هو عليه الحال في زماننا هذا، وفي ملتنا هذه [الإسلام]، فإذا ما اتفق لمثل هؤلاء أن يكونوا أصحاب حكومة [حكم]، وذلك في زمن لا ينقطع، صار ممكناً أن توجد هذه المدينة^(٣)، فهذه المدينة يمكن نشؤها بالتدريج، وذلك من خلال تعاقب الأجيال من الحكام الفضلاء، "وقد تنشأ على غير هذه الوجهة؛ غير أن ذلك يكون في زمن طويل، وذلك بأن يتعاقب على هذه المدن، وفي أزمان طويلة، ملوك فضلاء، فلا يزالون يرعون هذه المدن [ويؤثرون فيها]، إلى أن تصبح على أفضل تدبير^(٤)، لذلك يرى ابن رشد أن المدينة الفاضلة قد تحققت في عهد الخلفاء الراشدين، كما أن التجربة التاريخية للإسلام الأول قابلة لأن تتكرر في أمكنة وأزمنة جديدة، كما يخلص إلى نتيجة مؤداها أن المدينة الفاضلة تسعى لسعادة الجميع، وليس لسعادة الحاكم فقط، كما هو الحال في الصناعات والفنون التي غرضها نفع الناس جميعاً "مثال ذلك صناعة الطب، فغرضها هو شفاء المرضى، لا الوصول إلى غرض الطبيب وحسب^(٥).

وعليه، فالفارابي حينما وضع تصور للمدينة الفاضلة كان متأثراً بمدينة أفلاطون، وقد سار علي دربه فلاسفة الإسلام في تصورهم للمدينة الفاضلة بصورة مباشرة أو

(١) الفارابي: كتاب السياسة المدنية، ص ٧٨.

(٢) الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة، ص ١٢٧.

(٣) ابن رشد: الضروري في السياسة، ص ١٣٩.

(٤) المرجع نفسه، ص ١٦٤.

(٥) المرجع نفسه، ص ١٧٧.

غير مباشرة، ومن بينهم "ابن باجه"، و"ابن رشد"، و"ابن طفيل" في قصته الفلسفية والأدبية (حي بن يقظان)، وأيضًا الفيلسوف الإنجليزي فرنسيس بيكون^(١).

كما كان للفارابي تأثير عظيم في فلسفة الفيلسوف الألماني "ليو شتراوس" Leo Strauss (١٨٩٩ - ١٩٧٣) حيث تأثر الأخير بمنهج الفارابي في الكتابة السياسية غير المباشرة أو الكتابة الخفية؛ من خلال تقديم فلسفته على ألسنة الفلاسفة السابقين، وقد دعاه لهذا الخوف من الاضطهاد والظلم، وأنَّ ما فعله "شتراوس" لا يختلف كثيرًا عما فعله فلاسفة كثيرين من قبله من بينهم "أفلاطون" الذي اختار المحاورات لتكون هي الشكل الملائم لبث أفكاره من خلالها. غير أنَّ أقرب الفلاسفة القدامى إلى هذا النهج الذي صار عليه "شتراوس" هو بحق الفارابي، ذلك أنَّ الفارابي فيما يحدثنا "شتراوس" كان يرتدي قناع المؤرخ ليتحصن به من الشبهات والمساءلات التي قد يجرحها عليه إفصاحه المباشر عن آرائه، وهكذا عرض الفارابي لأفلاطون على نحو ينم عن إيمانه بآراء أفلاطون وإن لم يعلن ذلك صراحة^(٢).

ويؤكد "شتراوس" هذا في قوله: "إنَّ الفارابي قد عبر عن فكره بشكل أكثر وضوحًا من خلال أطروحته عن فلسفة أفلاطون، وبذلك يكون الفارابي مختلفًا عن الرشدية اللاتينية التي قدمت تفسيرًا حرفيًا واضحًا مما جعلها تتهم بالهرطقة في حين أنَّ الفارابي لم يقدم تفسيرًا حرفيًا موضحًا فيه لشخصيته، ولكن قدم نفسه كمعلق على آراء أفلاطون وكشراح ولكن بشكل يخفي فيه آرائه"^(٣).

(١) عاطف العراقي: الفلسفة العربية والطريق إلى المستقبل رؤية عقلية نقدية، الطبعة الرابعة، القاهرة، دار الرشاد، ١٩٩٨م، ص ٥٥.

(٢) يوجين ف. ميللر : ليو شتراوس وصحوة الفلسفة السياسية، في "أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة"، أنطوني دى كرسبني وكينيث مينوج المحرران، ترجمة: نصار عبد الله، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧، ص ٦٣.

(3) Leo Strauss: **Persecution and the Art of Writing**, the University of Chicago press, Chicago, USA, 1952, p.p.11-14.

بالعودة إلى الفارابي نجدَه قسّم المدن/الدول (المجتمعات البشرية) إلى نوعين: كاملة وغير كاملة وفق الموقع والطبيعة الجغرافية^(١)، فالجماعات الكاملة (التي تتحقق فيها الفضيلة والسعادة) ثلاث: عظمي، ووسطي وصُغري، فالعظمي اجتماع الجماعة كلها في المعمورة (أكمل الجماعات الإنسانية)، والوسطي اجتماع أمة في جزء من المعمورة، والصُغري اجتماع المدينة أو الدولة، "فالمدينة هي أول مراتب الكمالات"^(٢)، أما الجماعات غير الكاملة (الناقصة) فهي: اجتماع القرية (خادمة المدينة)، ثم أقسام المدينة نفسها وهي المحلة ثم السكة وأصغرها المنزل، لذلك يري الفارابي أن أفضل المدن وأكمل الجماعات الإنسانية (التي يحكمها فيلسوف لتتال السعادة الحقيقية) يجب أن تتسع حدودها فتتمتد إلى الأرض المعمورة كلها^(٣).

أما مضادات المدينة الفاضلة، أجملها الفارابي في أربعة أقسام، هي: أولاً: المدينة الجاهلية التي لم يعرف أهلها السعادة الحقيقية، ولا خطرت ببالهم، وغاياتهم دنيوية فقط (المتعة، الثروة، القوة، الحرية المطلقة)، ثانياً: المدينة الفاسقة التي عرف أهلها السعادة نظرياً لكنها لا تطبقها عملياً، ثالثاً: المدينة المبدلة كانت آراؤها آراء فاضلة ثم تبدلت، رابعاً: المدينة الضالة تعتقد في الله وفي العقل الفعال آراء فاسدة، ورئيسها أوهم الناس أنه يُوحى إليه، "وملوك هذه المدن مضادة لملوك المدن الفاضلة، ورياستهم مضادة للرياسات الفاضلة"^(٤)، وهذه المدن في رأيه تقوم على أساس القهر والقوة والغلبة، لا على العدل والفضيلة.

(١) أكد الفارابي على أهمية وقوع المدينة في الإقليم الوسط الذي يتميز باعتدال المناخ، حميد خلف علي: أثر فلسفة الفارابي في فلسفة ابن خلدون، بيروت، دار الهادي، ٢٠٠٦م، ص ١١.

(٢) الفارابي: كتاب السياسة المدنية، ص ٦٩.

(٤) الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة، ص ١١٨.

(٤) المرجع نفسه، ص ١٣٤.

فالمدينة الفاضلة في نظر الفارابي لا توجد بالطبيعة وإنما توجد بفضل صناعة يسميها "صناعة الملك والمدينة" وفعل هذه الصناعة هو التعقل والتدبير (السياسة)، يقول: "واسم الملك يدل على التسلط والاقتدار. والاقتدار التأم أن يكون أعظم الاقتدارات قوة.. وليس يمكن ذلك إلا بعظم قوة المعرفة وعظم قوة الفكرة وعظم قوة الفضيلة والصناعة، وإلا لم يكن ذا مقدرة علي الإطلاق ولا ذا تسلط.. فلذلك صار الملك علي الإطلاق هو بعينه الفيلسوف وواضع النواميس^(١). فالرئيس الأول للمدينة الفاضلة هو ملك بالمهنة والقدرة العملية علي صناعة السياسة، ويكون تدبيره عن الفلسفة النظرية علي التمام^(٢)، أي عن معرفة وفكرة وفضيلة، الذي هو تدبير المدن، وهو ما أكده ابن حزم بمبدأ الأمر بالمعروف وتطبيقه، وإن أدى ذلك إلى استخدام القوة، يقول: "لما كانت الخلافة من الله على منهاج رسوله، وإقامة شعائر دينه، احتاج الناس إلى من يقوم فيهم مقام نبيهم لتأتلف برهته الأهواء المختلفة، وتجتمع بهيبته القلوب المتفرقة، وتكف بسطوته الأيدي المتغلبة، وتتقمع من خوفه النفوس المعاندة، لأن في طباع البشر من حب المغالبة والقهر ما لا ينفكون عنه إلا بمانع قوي^(٣)، كما يُصرح ابن خلدون بأن الدولة تنشأ نتيجة القوة القائمة على العصبية، يقول: "وسياسة الملك والسلطان تقتضي أن يكون السائس وازعًا بالقهر، وإلا لم تستقم سياسته^(٤)، فالعصبية عنده تحمل الأفراد على التناصُر والحماية، لأنها ضرورية "في كل أمر يحمل الناس عليه من نبوة أو إقامة ملك أو دعوة، إذ بلوغ الغرض من ذلك كله إنما يتم بالقتال عليه، لما في طبائع البشر من الاستعصاء، ولا بُدَّ في القتال من

(١) الفارابي: تحصيل السعادة، ص ٩٢، ٩٣.

(٢) الفارابي: كتاب الملة، مرجع سابق، ص ٦٦.

(٣) ابن حزم: شذرات من كتاب السياسة، جمع: محمد إبراهيم الكتاني، مجلة تطوران المغربية، منشورات الجامعة المغربية، كلية الآداب، العدد الخامس، ١٩٦٠م، ص ٩٦.

(٤) ابن خلدون: المقدمة، ٥١١/٢.

العصبية^(١)، فالقوة التي قال بها الفارابي وتابعه ابن خلدون لها تأثير كبير علي فلسفة مكيافيلي Machiavelli (ت١٥٢٧م) السياسية، إذ رأي أنَّ القوة هي أساس الحق الاجتماعي في الدولة بقوله: "كافة القوى التي من شأنها أن تمارس سلطة على الأفراد تسمى دولاً (Stati)، وهي إما أن تكون ملكية أو جمهورية"^(٢).

إنَّ العبارة تختصر رؤية فلسفية مختلفة لكل من الفارابي ومكيافيلي، لكنها تمثل رؤية مكيافيلي بوضوح أكبر، حيث يرى أنَّ القوة ضرورية لتأسيس الحكم والحفاظ عليه، بينما يرى "الفارابي" الحق الاجتماعي في المدينة الفاضلة، القائمة على العدل والقوة المستخدمة لتلبية حاجات مواطنيها وحمايتهم، وإن كان يقرر في بعض السياقات استخدام القوة لدفع الضرر أو فرض ما هو أجود (مثل الحرب العادلة). حيث يرى "الفارابي" أنَّ أساس الحق الاجتماعي هو المدينة الفاضلة، التي يُحكم فيها بالعدل. في هذه المدينة، تُستخدم القوة بطرق تخدم أهداف المدينة ومواطنيها. كما يقر "الفارابي" بضرورة القوة في دفع الضرر، والدفاع عن المدينة، واكتساب الخير من الخارج، وفرض ما هو أجود (الأفضل) لمن لا يعرفه ويتمسك بالجهل، لكن كل ذلك يخضع لـ "أخلاق" المدينة الفاضلة. ويمكن أن تأتي القوة من مصادر متعددة (مثل امتلاك الموارد، أو القوة العسكرية، أو القوة الثقافية، أو القوة السياسية)^(٣). ويستخدم الفارابي

(١) ابن خلدون: المرجع نفسه، ٤٨١/٢.

(٢) محمد على محمد وعلى عبد المعطى محمد: السياسة بين النظرية والتطبيق، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط٧، ١٩٩٨م، ص٢٥٨.

(٣) انظر: سعيد الجبالي: نظرية الحرب العادلة عند الفارابي: يوتوبيا أم واقع؟ مجلة حكمة، بتاريخ: ٢٠٢١/٢/١٨. تم الدخول: ٢٠٢٥/١١/٤.

<https://hekmah.org/%D9%86%D8%B8%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D8%AF%D9%84%D8%A9>

هذه الأنواع المختلفة من القوة في سعيه لبناء مجتمع فاضل. حيث نجد ذلك في تشديده على خصال رئيس المدينة الفاضلة، الذي ينبغي: "أن يكون ورعاً سهل الانقياد للخير والعدل، عسر الانقياد للشرّ والجور، وأن يكون قوي العزيمة على الشيء الصّواب"^(١).

وإذا نظرنا إلى السياسة المعاصرة سنجد فكرة استخدام القوة مبدأ أساس تتبناه الدول الكبرى؛ لتحقيق أغراضها ومصالحها الخاصة، مثل الولايات المتحدة الأمريكية وفرض هيمنتها السلطوية على العالم بأسره على سبيل المثال، وبهذا كان للفلسفات الفارابية وجود في السياسات المعاصرة وإن لم تكن بنفس المعنى الذي أراده الفارابي.

لا يكفي القول بأن أعمال أبي نصر الفارابي تحتوي فكرًا ينطلق من النزعة الإنسانية، بل يمكن القول بأنه هو المؤسس الحقيقي للنزعة الإنسانية من الوجهة الفلسفية في الفكر العربي، وذلك لأنه أراد أن يحيط، قدر الإمكان، بتجلياتها المختلفة، وأن يضع لها الرؤية النظرية والأساس المنهجي اللازمين لها، ولقد ظهرت لديه في محاور مختلفة: كاللغة، والميتافيزيقا، والسياسة، والفن... كما أنّ "ابن خلدون" اعتبره من كبار الفلاسفة في الملة الإسلامية وأشهرهم، وهو في نظر مصطفى غالب أول الفلاسفة العظام الذين فلسفوا الدين الإسلامي^(٢).

(١) أبو نصر الفارابي: **تحصيل السعادة**، حققه وقّده له وعلق عليه: جعفر آل ياسين، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، دار الأندلس، ١٩٨٣، ص ٨٩: ٩٥.

(٢) عبد الله إدالكوس: **الأفق الإنساني في الفلسفة السياسية عند أبي نصر الفارابي**، مؤمنون بلا حدود، قسم الدراسات الدينية، بتاريخ: ١٠ ديسمبر ٢٠١٤م. تم الدخول: ٢٠٢٥/١١/٤.

<https://www.mominoun.com/articles/2269>

المبحث الرابع: رئيس المدينة أو الدولة (الإمام/ الفيلسوف/ النبي)

مدينة الفارابي تعقد وجودها علي رئيس المدينة الفاضلة، إذ هو بالطبع أكمل أهل المدينة وأتمها، شأنه شأن العضو الرئيسي في البدن وهو القلب، فيكون هو "السبب في أن تحصل المدينة وأجزاؤها، والسبب في أن تحصل الملكات الإرادية التي لأجزائها، وإن اختلف منها جزء كان هو المرفد له بما يزيل عنه اختلاله"^(١)، فالرئيس الفاضل عنصر توازن لأجزاء المدينة، فهو شبيه بمدير الكون، ونسبته إلي سائر أجزاء المدينة "كنسبة السبب الأول (الله) إلي سائر الموجودات"^(٢)، وكما أن الوجود الإلهي هو أكمل ألوان الوجود في مراتب الموجودات "فكذلك رئيس المدينة هو أكمل أجزاء المدينة فيما يخصه"^(٣). فالرئيس الأول لا يرأسه إنسان، بل يكون قد حصلت له العلوم والمعارف بالفعل، "ولا تكون له به حاجة في شئ إلي إنسان يرشده"^(٤)، ومراتب أهل المدينة في الرياسة والخدمة تتفاضل بحسب فطر أهلها وبحسب الآداب التي تأدّبوا بها، فهو "الرئيس الأول الذي يرتب الطوائف وكل إنسان من كل طائفة في المرتبة التي هي استيهاله، وذلك إما مرتبة خدمة وإما مرتبة رئاسة"^(٥).

وعليه، فرئيس المدينة الفاضلة في نظر الفارابي يتفرد بإنسانية خاصة، فهو لا يمكن أن يكون أي إنسان، لأنَّ "الرئاسة إنما تكون بشيئين: أحدهما أن يكون بالفطرة والطبع معدًّا لها، والثاني بالهيئة والملكة الإرادية"^(٦)، فيجب أن تتوافر فيه شرطان: أن يكون لديه استعداد فطري للرياسة، وأن تتكون لديه الملكة الإرادية لتولي أعمال

(١) الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة، ص ١٢٠.

(٢) الفارابي: المرجع نفسه، ص ١٢١.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٢٠.

(٤) الفارابي: كتاب السياسة المدنية، ص ٧٩.

(٥) المرجع نفسه، ص ٨٣.

(٦) الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة، ص ١٢٢.

الرياسة، ولذلك حدّد الفارابي مجموعة خصال إضافية في الرئيس الأول للدولة الفاضلة، سواء كانت مدينة أو أمة أو "للمعمورة من الأرض كلها"^(١) هي:

١- خصال الفطرة والطبع (الفضائل النظرية)، فـرئيس المدينة الفاضلة يجب أن يكون معدّاً لمنصبه بالطبع والفطرة، ويكون متصفاً بانتنتي عشرة خصلة، هي أن يكون تامّ الأعضاء، جيّد الفهم، جيّد الحفظ، جيّد الفطنة ذكياً، حسن العبارة، محبّاً للتعليم، غير شره في المأكّل والمشرب والنكاح، محبّاً للصدق، كبير النفس، محبّاً الزهد، محبّاً للعدل، ويكون قويّ العزيمة. ويرى الفارابي اجتماع هذه الخصال في شخص واحد أمر عسير أو نادر، ولذلك يُكتفى بتولي الرئيس الثاني بدلاً من الرئيس الأول كخليفة له. والرئيس الأول عند الفارابي نجد نظيراً له عند ابن رشد في حكم المُلْك الحق: فهذه السياسة من اجتمعت فيه خمسة شروط وهي: الحكمة، والتعقل التام، وجودة الإقناع، وجودة التخيل، والقدرة على الجهاد ببذنه، وألا يكون في بذه شيء يعوقه عن مزاوله الأشياء الجهادية؛ فذاك هو الملك على الإطلاق، وسياسته هي سياسة الملك الحق^(٢).

٢- وخصال الهيئة والملكة الإرادية (الفضائل العملية المكتسبة) في الرئيس الثاني الذي يخلف الأول في الحكم من اجتمعت فيه ست شرائط هي: أن يكون حكيماً، عالماً حافظاً للشرائع، جودة استنباط، جودة روية، جودة ارشاد، جودة ثبات ببذنه في مباشرة أعمال الحرب، وصفة الحكمة أهم هذه الصفات، فإذا لم يوجد إنسان واحد اجتمعت فيه هذه الشرائط، وتوافرت في اثنين (أحدهما حكيم، والثاني فيه الشرائط الباقية) كانا هما رئيسين، وإذا تفرقت هذه الشرائط في جماعة، كل خصلة في واحد منهم كانوا هم الرؤساء الأفاضل، بشرط أن توجد الحكمة في أحدهم، فإذا لم يوجد حكيم، "لم تلبث المدينة بعد مدة أن تهلك"^(٣).

(١) الفارابي: المرجع نفسه، ص ١٢٧.

(٢) ابن رشد: الضروري في السياسة، ص ١٦٨ - ١٦٩.

(٣) الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة، ص ١٣٠.

٣- الاتصال بالعقل الفعّال (تلقي الحقائق الفلسفية والتشريعية)، فعند اجتماع هذه الخصال الفطرية والمكتسبة في الرئيس، يأتي النوع الثاني كمصدر للحكم وهو حكم الملك الفيلسوف أو النبي، فيخرج الفارابي عن وصف الرئيس الإنسان إلي وصف الرئيس بتوسط العقل الفعال، حيث يترقى عقله إلي رتبة العقل المستفاد الذي يتلقي عن العقل الفعّال مباشرة بفيض من الله تعالى، فيكون حكيماً فيلسوفاً بما يفيض منه إلي عقله المنفعل، ونبياً منذراً بما يفيض منه إلي قوته المتخيلة، "وهذا الإنسان هو في أكمل مراتب الإنسانية وفي أعلى مراتب السعادة، وتكون نفسه كاملة متحدة بالعقل الفعّال^(١)، فقد جمع الفارابي بين الفيلسوف والنبي برئاستهما للدولة، يقول "فتبين أن معني الفيلسوف، والرئيس الأول، وواضع النواميس والإمام.. كلها تجتمع في آخر الأمر في الدلالة علي معنى واحد بعينه^(٢)."

إنّ هذا يدل بوضوح علي قدرة الفارابي كمفكر في عرضه لأشكال الحكم، في المزج بين التراث اليوناني (النظري) والتراث الإسلامي (العملي) في تجربة الحكم وبناء الدولة، فأراد تأسيس مدينة فاضلة يرأسها فيلسوف أو نبي، حتي تتال الهدف الأخلاقي المنشود وهو بلوغ السعادة الحقيقية للإنسان، وبالتالي تُعد نموذج مثالي في نظم الحكم تسير علي نهجها الأمم، بل أصبح فلاسفة العصور الوسطى (ابن ميمون وتوما الأكويني وابن رشد وابن سينا) وفلاسفة الغرب (كارل شميث وليو شتراوس) متأثرين بفلسفته السياسية التي تقوم علي أسس روحية وأخلاقية.

على هذا كان للفارابي أثره على الفكر الغربي فجميع مؤلفاته الفكرية كان لها صدى كبير في الفكر الغربي، وذلك لما لها أهمية فكرية وآراء فلسفية مثل: القول بأن الفيلسوف يجب أن يحكم الدولة، لأنه من أحكم الناس وبصفته أكمل نوع من البشر،

(١) الفارابي: المرجع نفسه، ص ١٢٥ - ١٢٦.

(٢) الفارابي: تحصيل السعادة، قدم له: علي بو ملح، القاهرة، دار الهلال للطباعة والنشر،

ط١، ١٩٩٥م، ص ٩٤.

وأن المرجع الأساس للاضطرابات السياسية هو فصل الفيلسوف عن الحكومة، لذلك كان الجزء الأكبر من كتاباته موجهاً إلى مشكلة التنظيم الصحيح للدولة، وهذا الرأي قد استفاد به الغرب؛ لأنه كان في نظرهم قد قدم حلاً للمشاكل السياسية التي تواجهها أوروبا في العصور الوسطى^(١).

وقد كان للفارابي أثر عظيم على ليو شتراوس في قوله بفكرة "الأكذوبة النبيلة" للحاكم، فإذا كان "شتراوس" قد أخذ عن أفلاطون فكرة الكتابة الباطنية فقد أخذ عن الفارابي فكرة الخداع وقد قدم مثالا أخذه من الأخير الذي يتحدث للفئة القليلة -حسب رأى شتراوس- يوضح كيف أن المرء قد يقول الحقيقة بكلمات معينة تكون غايتها الخداع فقط هذه الرواية المنقولة عن الفارابي مفادها (أن الناسك النقي المعروف في المدينة باستقامته وورعه وزهده وتواضعه وكبح شهواته لكنه بسبب ما أثار عداوة حاكم المدينة بأمر باعتقاله، واتخذ كافة الإجراءات الكفيلة بعدم فراره من المدينة واستقام جميع الحراس على أبواب المدينة ورغم ذلك كله استطاع هذا الناسك أن يهرب من المدينة، فقد ارتدى ملابس السكارى وصار مغنياً وهو يضرب على الصنج حتى اقترب من أبواب المدينة فلما سأله الحراس من أنت ؟ أجاب: أنا الناسك المتعبد الذي يبحث عنه كل من في المدينة، فلم يصدق الحراس قوله وضحكوا منه وتركوه يخرج من المدينة)^(٢).

(١) حنان عبد السلام العجيلي: دور فلسفة الفارابي وآثارها في الفكر الغربي، مجلة الجامعة،

السنة الثالثة عشرة - العدد الثامن والعشرون، (نوفمبر - ٢٠٢٣). ص ١٣٨.

(2) Tony Papert: **The Secret Kingdom of Leo Strauss**, Executive intelligence Review, www.larouchepub.com, May 2005, p.3.

نقلاً عن: جميل أبو العباس زكير: فلسفة السياسة عند ليو شتراوس، رسالة ماجستير (غير

منشورة) إشراف: الدكتور / محمد أحمد السيد، كلية الآداب، جامعة المنيا، ٢٠١٤، ص

ص ٣١ : ٣٥.

لقد قال الزاهد المتنسك الحقيقة بغرض الكذب ومن هنا فقد أخذ "ستراوس" هذه الفكرة من "الفارابي" الذي قال عنه "ستراوس": "لقد عبّر الفارابي عن فكره وآراءه بشكل أكثر وضوحاً في أطروحته عن فلسفة أفلاطون" ويقول أيضاً: "إنّ الفارابي أفاد نفسه بحصانه مميزة، حيث مارس عمله في كتاباته كمُعلق ومؤرخ من أجل التعبير عن رأيه فيما يتعلق بالمسائل المهمة في أعماله التاريخية بدلاً من الأعمال الذي يتحدث فيها باسمه هو، مع ذلك لا يمكن أن يكون الفارابي معلقاً أو شارحاً دون أن يستخدم الغموض والألغاز وذلك بإتقاء الوقوع في شبهة المعارضة فهو يعرض وجهة نظره في صورة شخص ما معارض، وإلا ما استطاع أن يجذب دارسي الفلسفة^(١).

ولقد وضع الفارابي مبدأ تعدد الرؤساء، لصعوبة تحقيق مدينته الفاضلة علي أرض الواقع، لذلك اشترط أن يكون الحاكم فيلسوفاً، ولتأثره بالنزعة المثالية دعتة إلي تصور إنشاء المدينة الفاضلة، مما دعى الكثير من المفكرين إلي أن يقرروا أن فلسفة الفارابي ظلت فكرة نظرية دون تطبيق وفي رأيه أن الحاكم في المدينة الفاضلة ينبغي أن يكون فيلسوفاً حكيماً من جهة أو نبياً منذراً يوحى إليه من جهة أخرى، فهذه الصفة تجعله نبياً ومشرعاً في آن واحد، فالرئيس عنده فيلسوف أشبه بالنبى، وهذا ما جعل دي بور يقول "أننا أمام مدينة سكانها قديسون ورئيسها نبى، وهي مدينة لا وجود لها إلا في مخيلة الفارابي^(٢). فالمدينة الفاضلة لن تتحقق إلا في وجود رئيس فاضل فيلسوف، وهو نفس رأي أفلاطون^(٣)، فهو خير النظم وأفضلها، ووظيفته ليست سياسية

(1) Leo Strauss: **Persecution and the Art of Writing**, the University of Chicago press, Chicago, USA, 1952, p.14.

(٢) دي بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام، ص ١٥٩.

(٣) يقول أفلاطون "ما لم يصبح الفلاسفة ملوكاً في بلادهم، أو يصبح الذين نسميهم الآن ملوكاً وحكاماً فلاسفة، وما لم تتجمع السلطة السياسية والفلسفة في فرد واحد.. فلن تهدأ حدة الشرور التي تصيب المدينة، بل ولا تلك التي تصيب الجنس البشري بأكمله. وما لم يتحقق ذلك، فلن يتسنى لهذه الدولة أن تولد"، الجمهورية، ك ٥، ص ٢٧٩.

فقط وإنما دينية وأخلاقية، بل تكون صناعته صناعة نحو غرضها تؤم الصناعات كلها^(١).

الأمر نفسه تردد عند "ابن رشد"، فيرى أن الوسيلة الوحيدة لإقامة المدينة الفاضلة أن يرأسها حاكم فيلسوف، يقول "وتبين أنه لن يرأس هذه المدينة الفاضلة ويدبر أمرها إلا مثل هؤلاء الفلاسفة"^(٢)، والسبب في نظره؛ لأنه "تتوفر فيهم المعرفة النظرية التأملية، والخبرات العملية المكتسبة على طول الزمان"^(٣)، وهذا إنما يحصل بالضرورة في أجزاء النفس إذا قادها سلطان العقل، ويحصل في أجزاء المدينة إذا قادها أهل العلوم النظرية وفي مقدمتهم الفيلسوف، فالحكمة فضيلة المدينة، وهي التي يجب أن تكون المدبرة لأمرها، وهذا التدبير لا يكون إلا إذا كان رؤساء المدينة أهل العلوم النظرية فلاسفة^(٤)، ويقرر ابن رشد بأن وجود هذه الخصال المتعلقة بالملك الفيلسوف في فرد واحد؛ يصعب وجودها، لأنه إذا كان وجود هذه المدينة؛ إنما يكون ممكناً بوجود الفلاسفة، وبذلك الصفات التي نشأوا عليها في هذه المدينة، فلا سبيل إذاً إلى وجود هذه المدينة، وصار ما كنا نعتقده مما افترضناه في قولنا ممتنع الوجود؟^(٥)، وجوابه على إمكانية وجود الفيلسوف الحاكم بغير الوجه الذي أراده أفلاطون، يقول: "إنه يمكن أن نربي أناساً بهذه الصفات الطبيعية التي وصفناهم بها؛ ومع ذلك ينشأون وقد اختاروا الناموس العام المشترك.. وتكون الفلسفة قد بلغت على عهدهم غايتها. وذلك كما هو عليه الحال في زماننا هذا، وفي ملتنا هذه [الإسلام]، فإذا ما اتفق لمثل هؤلاء

(١) الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة، ص ١٢٣.

(٢) ابن رشد: الضروري في السياسة، ص ١٣٧.

(٣) ابن رشد: تلخيص السياسة، تلخيص السياسة لأفلاطون (محاورة الجمهورية)، نقله إلى العربية: حسن مجيد العبيدي، دمشق، دار الفرق للطباعة والنشر، ط ٢، ٢٠١١م، ص ٧٣.

(٤) ابن رشد: المرجع نفسه، ص ١١٧.

(٥) ابن رشد: المرجع نفسه، ص ١٣٩.

أن يكونوا أصحاب حكومة [حكم]، صار ممكنا وجود هذه المدينة وأن يكون الرؤساء فيها فلاسفة^(١)؛ ولكن ابن رشد كالفارابي، كان مدركا أن الجو الإسلامي المحيط به غير مهيا لتقبل وجود فيلسوف رئيس للدولة؛ لأن البيئة الإسلامية كانت تنظر إلى الفلسفة والمشتغلين بها نظرة عدا، كما يقول بعض أهل السنة "من تمنطق فقد ترندق"، يقول: "وإذا اتفق ونشأ في هذه المدن فيلسوف حقيقي؛ كان بمنزلة إنسان وقع بين وحوش ضارية، فلا هو قادر على أن يشاركها فسادها، ولا هو يأمن على نفسه منها. ولذلك فإنه [يفضل] التوحد ويعيش عيشة المنعزل، فيذهب عنه الكمال الأسمى الذي إنما يحصل له في هذه المدينة^(٢)؛ ولذلك رفض ابن رشد فكرة توحد ابن باجه، الذي يقر بأن الفيلسوف عليه أن يعتزل مجتمعه ويتوحد مع نفسه، أو مع زملائه المشاركين له، مكوّنا لنفسه مدينة داخل المدينة، والسبب في تصويره "أن المدينة الفاضلة الكاملة قد أعطى فيها كل إنسان أفضل ما هو معدّ نحوه، وأن آراءها كلها صادقة.. وأن أعمالها هي الفاضلة بالإطلاق وحدها^(٣) وعليه، فالحاكم الحقيقي للمدينة في نظر ابن رشد؛ إنما في الفيلسوف التام في كماله، المُعد بالطبع للتدبير النظري والعملي معاً، يقول: "إن قصدهم (أى الفلاسفة) إنما هو معرفة الحق، ولو لم يكن لهم إلا هذا القصد؛ لكان ذلك كافياً في مدحهم^(٤)." والسؤال الذي يطرح نفسه، ما علاقة الأخلاق بالسياسة بين الطرح المثالي والواقعي، وعند الفارابي تحديداً وإلى أيهما كان أقرب؟

(١) ابن رشد: المرجع نفسه، ص ١٣٩.

(٢) ابن رشد: الضروري في السياسة، ص ١٤١.

(٣) ابن باجه: تدبير المتوحد، مرجع سابق، ص ٤١.

(٤) ابن رشد: تهافت التهافت، حققه: سليمان دنيا، القاهرة، دار المعارف، ط ٥، ٥٤٧/٢.

المبحث الخامس: العلاقة بين الأخلاق والسياسة

لا جدال أن هناك علاقة وثيقة بين الأخلاق والسياسة، فالفضائل والأفكار الأخلاقية تظهر أولاً ثم تستمد منها السياسة ما تراه مناسباً وتحيله إلى قوانين^(١)؛ وفي هذا السياق، يدمج الفارابي الأخلاق والسياسة جاعلاً هدفه الأول من بناء الدولة هو الأخلاق.

ولذلك، قصد "الفارابي" بالعلم المدني علمي الأخلاق والسياسة، فالعلم المدني "يفحص عن أصناف الأفعال والسنن الإرادية (الشرائع والقوانين التي يضعها الحكام للمدن والأمم) وعلم الأخلاق يهتم "بالملاكات والأخلاق والسجايا والشيم (الطبائع الفطرية التي تصدر عنها أفعال الناس) التي عنها تكون الأفعال والسنن"^(٢)، ويتضح أن هذا العلم له جانبان، أحدهما نظري (خاص بتعريف السعادة وتحديد الأفعال التي توصل إليها)، والآخر عملي (خاص بالأفعال الملكية)، وهذا لا يتم إلا في وجود حاكم فاضل يدبر أمر الدولة، يقول الفارابي "وهذا العلم جزءان:

- 1- جزء يشتمل على تعريف السعادة، وتمييز ما بين الحقيقة منها والمظنون به، وعلي إحصاء الأفعال والسير والأخلاق والشيم الإرادية الكلية التي شأنها أن توزع في المدن والأمم، وتمييز الفاضل منها من غير الفاضل (علم الأخلاق).
- 2- وجزء يشتمل على وجه ترتيب الشيم والسير الفاضلة في المدن والأمم، وعلي تعريف الملكية التي بها يمكن السير والأفعال ترتيب أهل المدن، والأفعال التي بها يحفظ عليهم ما رتب ومكن فيهم، ثم يحصي أصناف المهن الملكية غير الفاضلة كم هي، وما كل واحدة منها، ويحصي الأفعال التي يفعلها كل واحد منها أن يمكن في

(١) إمام عبد الفتاح إمام: الأخلاق.. والسياسة (دراسة في فلسفة الحكم)، القاهرة، المجلس

الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢م، ص ١٠٩.

(٢) الفارابي: إحصاء العلوم، ص ٧٩.

المدن والأمم (وهي علم السياسة) ^(١). ف رؤية "الفارابي" في الأخلاق لم تكن بمعزل عن آرائه في السياسة والدولة، لتحقيق السعادة الحقيقية للمدينة، وبلوغ السعادة "بأن تحصل لها الخيرات كلها الطبيعية والإرادية" ^(٢)، وتحصيل السعادة في سبيلين: الأول: التعليم والتأديب، وخص التعليم بالفضائل النظرية ويكون بالقول فقط، وخص التأديب بالفضائل الخلقية والصناعات العملية ويكون بالقول وبالفعل، والآخر: الإكراه مع المتمردين من أهل المدن والأمم الذين ليسوا ينهضون للصواب طوعاً، لذلك فالسياسة عند الفارابي لم تكن مقتصرة على الجانب النظري فحسب؛ وإنما كان للجانب العملي (المتمثل في الأخلاق والدين) أثره أيضاً في طبيعة المجتمع ونظمه.

ربط "ابن حزم" -كما فعل الفارابي- بين الأخلاق والسياسة من خلال رؤيته أن السياسة هي "إحكام أمر الدنيا" وتتطلب مهارات أخلاقية كـ "الحزم" و "الرزانة"، وأن العقل هو استعمال الفضائل وتجنب الرذائل، بينما الحمق هو عكس العقل. فقد رأى أن الأخلاق الفاضلة كالعدل والوفاء والجود والنجدة أساس للحكم السليم، وأكد على أن الانقياد للأهواء والظلم يُعد حماقة وعجزاً عن إحكام أمور الدنيا بشكل صحيح.

رغم هذا، لا يوجد دليل مباشر على تأثر ابن حزم بفلسفة الفارابي في الأخلاق والسياسة، لكن هناك نقاط التقاء بينهما في جوانب معينة. كلاهما يربط الأخلاق بالسياسة ويجعل السعادة غاية، بينما يختلفان في الأسلوب والتفاصيل. فبينما يرى "الفارابي" أن السياسة لا تقوم إلا على أسس أخلاقية، إلا أن "ابن حزم" لم يشر بشكل مباشر إلى "الفارابي" في أعماله السياسية والأخلاقية التي تعتمد على أسس شرعية ^(٣).

(١) الفارابي: المرجع نفسه، ص ٨٣.

(٢) الفارابي: كتاب السياسة المدنية، ص ٨٤.

(٣) انظر: صلاح الدين بسيوني رسلان: الأخلاق والسياسة عند ابن حزم، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٥م، ص ٤٣١.

وكما يدرج الفارابي الأخلاق في العلم المدني، كذلك فعل "ابن رشد" بأن الغرض من العلم المدني (العملي) هو "المعرفة من أجل العمل، وموضوعه أفعال الإنسان الإرادية التي تصدر عنه، ومبدؤه هو الإرادة والاختيار، وهو جزئين: الأول النظري هو علم الأخلاق (وموضوعه تدبير النفس)، والآخر علم السياسة (وموضوعه تدبير المدينة)، فالحاكم الفيلسوف في نظره، هو الذي يدبر سياسة الدولة، ويضع الدستور "الشرائع"؛ لأنه يمتلك الفضيلة العقلية والتي من خلالها يتم النظر في الأمور العملية في الأمم والمدن. وإذا أراد الفيلسوف بلوغ الكمال التام، فيجب عليه "تحصيل العلوم النظرية والعملية معاً، والفضائل الخلقية والعلمية معاً، وخاصة الرفيعة منها. واسم "الملك" إنما يُطلق ابتداءً، على من مهنته أن يكون رئيساً على المدن^(١). وعليه، فالأخلاق عند "ابن رشد" شرط ضروري لبلوغ الفرد سعادته المنشودة في المدينة الفاضلة، لأن الفضائل وإن تكن غايات، فهي أيضاً خيرات في أنفسها، ونافعة في الخير؛ فإن المقتنين لها هم بها حسنو الحال^(٢).

كما تأثرت أخلاق وسياسة "ابن باجة" بالفارابي، حيث ربط الفكرتان معاً كما فعل الفارابي، ولكنهما يختلفان في التطبيق، حيث ركّز الفارابي على بناء "المدينة الفاضلة" المثالية، بينما يركز "ابن باجة" على "المتوحد" الفردي الذي يعيش في ظل الواقع العملي، ويهتم بتحقيق العدل والنظام داخل النفس الفردية أولاً قبل بناء المدينة المثالية.

بينما ترتبط السياسة بالأخلاق ارتباطاً وثيقاً، عند "الفارابي"، حيث تعتبر الأخلاق أساس السياسة المدنية. إلا أن "ابن باجة" يرى أنّ التنظيم السياسي للمجتمع

(١) ابن رشد: الضروري في السياسة، ص ١٣٦

(٢) ابن رشد: تلخيص الخطابة، حققه: عبد الرحمن بدوي، بيروت، وكالة المطبوعات

الكويت، دار القلم، ١٩٥٩م، ص ٩٤.

يتأسس على التنظيم الأخلاقي والتربوي للنفس، أي أن "المتوحد" هو أساس المدينة المثالية في المستقبل.

الأمر نفسه أكده، "ابن خلدون" في ربطه بين الأخلاق والسياسة، على ضوء الاجتماع الإنساني وتطور المجتمع، فكلاهما مكمل للآخر، فالأخلاق تهدف إلى السعادة، وتحصيل السعادة لا يتم إلا بالاجتماع مع الآخرين في أي دولة، إذ الرئاسة والملك يرتبطان بالخير؛ لأن "الإنسان أقرب إلى خلال الخير من خلال الشر، بأصل فطرته، وقوته الناطقة العاقلة.. وإذا كان الملك غاية للعصبية، فهو غاية لفروعها ومتمماتها، وهي خلال.. وأيضاً فالسياسة والملك هما كَفَالَةُ للخلق، وخِلَافَةُ لله في العباد لتنفيذ أحكامه فيهم؛ وأحكام الله في خلقه وعباده إنما هي بالخير، ومراعاة المصالح، كما تشهد به الشرائع.. فمن حصلت له العصبية الكفيلة بالقُدرة، وأُنِسَتْ منه خلالُ الخير المناسبة لتنفيذ أحكام الله في خلقه؛ فقد تهيأ للخلافة في العباد وكفالة الخلق^(١)، لذلك فأهل الملك في نظره، يجب أن يعتمدوا الأخلاق الحميدة، فضلاً عن الدين والعصبية.

فتلك ملامح عامة لفلسفة الفارابي السياسية من خلال تصوره لطبيعة مدينته الفاضلة، فاستحق بحق لقب المعلم الثاني، ليبقى بلا منازع واضع قواعد الفلسفة الإسلامية والسياسية، حيث أنشأ مذهباً فلسفياً كاملاً، والتي تُعد وثيقة تاريخية لمسيرة هذا الفيلسوف.

(١) ابن خلدون: المقدمة، ٤٩٩/٢ - ٥٠٠.

نتائج البحث وتوصياته

١ - نتائج البحث:

أما النتائج التي نستخلصها من بحثنا في فلسفة الفارابي السياسية وأثرها فهي: أولاً، نتوصل مما سبق إلى أن: في فلسفة السياسة مانت فلسفات لارتباطها بقوميات أو حركات أو أنظمة معينة، بينما كُتب الخلود لفلسفات أخرى؛ لارتباطها بالإنسان ذاته كصانع للأنظمة والحضارات، كانت فلسفة "الفارابي" السياسية من بين هذه الفلسفات الخالدة في كثير من جوانبها: مثل فكرة الإنسان اجتماعي بطبعه، واستخدام القوة المعتدلة في المدينة الفاضلة التي تدافع عن قيم: الحق والعدل والخير.

ثانياً، أما بالنسبة للحاكم فقد كان لفكرة (الحاكم النبي) الذي يجمع في حكمه بين الوحي الإلهي والحكمة البشرية عظيم الأثر على الفلاسفة من بعده، وكذلك فكرة الأكذوبة النبيلة بالنسبة للحاكم كضرورة استثنائية من أجل مصلحة الأمة الأسمى؛ فليس كل ما يعرف يقال في السياسة، إذ لا بُدَّ من السرية والكتمان في كثير من الأحيان.

ثالثاً، يقول هارولد لاسكي "أن هناك من القديم ما هو أحدث من الحديث" إذ ينطبق ذلك علي فلسفة الفارابي السياسية والتي تقوم علي أسس عقلية وروحية من خلال تصويره لطبيعة المدينة الفاضلة (المثالية) التي يرأسها فيلسوف أو نبي علي اتصال بالعقل الفعال من جانب، وتحليله للأنظمة المجتمعات غير الفاضلة بوضع حلول للواقع المعيش بمنهج العقل من جانب آخر، لقد جمع الفارابي بين التراث اليوناني وبين التراث السياسي الإسلامي، مستمداً منهما نموذج المثالي في الحكم، فكانت لها تأثير كبير في الإصلاح السياسي والاجتماعي في عصره، كما تُعد نموذجاً عملياً سار علي نهجها فلاسفة الإسلام (ابن باجه وابن طفيل ابن سينا وابن رشد)، في تصورهم للمدينة الفاضلة، وعليه فلم يكن الفارابي يوتوبياً ولا خيالياً، وإنما كان ينطلق من معاشة

حقيقية لواقع المجتمعات الإسلامية آنذاك، بل تُعد أحد جوانب الواقعية في فلسفته السياسية.

رابعاً، حديث الفارابي لفلسفة القوة والقهر والتي جاءت مشابهة لرأي ابن خلدون في العصر الوسيط وتوماس هوبز (بأن الإنسان ذئب للإنسان وأن الكل في حرب ضد الكل) في العصر الحديث، وما يحدث في العالم اليوم يؤكد لنا بما لا يدع مجالاً للشك أن العالم السياسي اليوم تحكمه سياسة (منطق القوة) لا (قوة المنطق).

خامساً، جعل الفارابي بناء مدينته الفاضلة صورة مطابقة لبناء الكون، فالرئيس في هذه المدينة هو المدبر الذي يشبه الخالق الأعظم في تدبيره للكون، فهو الرئيس الأول علي الإطلاق وهو الذي لا يحتاج إلي أن يرأسه إنسان آخر أصلاً، وهو الذي يُوحى إليه، بل حصلت له المعارف والعلوم باتصاله الدائم بالعقل الفعال، كما يجب أن يكون مُعداً لمنصبه بالطبع وبالفطرة، فكل إنسان مفطور بالطبيعة علي أن يكون ملكاً أو خادماً.

سادساً، جعل الفارابي أفضل المدن وأكملها هو ما تتجاوز حدودها فتتمدد إلي اجتماع سكان المعمورة كلها، فجاءت هذه الفكرة سابقة علي الفكر السياسي الحديث الذي نادى بالدولة المتعددة القوميات، بل عدّها مفكرو السياسة أثراً من أثار الفكر الإسلامي الذي تحقق في الخلافة الإسلامية لضمها أمماً متعددة.

سابعاً، يقيم الفارابي مدينته الفاضلة علي الربط بين الأخلاق والسياسة، فالسياسة تنظيم أمور الدولة وتدبير شؤونها لتحقيق مصالح المجتمع، والأخلاق هي قواعد السلوك التي تنظم المجتمع نحو الأفضل، ولكي تكون الدولة قوية يجب أن تجمع بين الجانبين السياسي (النظري) والأخلاقي (العملي)، لأن فلسفته الخُلُفية تتميز بالواقعية، وذلك لأنه لم يعتبر أخلاق الإنسان إلا من حيث عيشه في مدينة، بهدف إصلاح المجتمع أخلاقياً، واجتماعياً، وسياسياً. كما أنَّ السياسات والأنظمة مهما اختلفت فلا يمكنها الاستغناء التام عن الأخلاق في السياسة.

٢- توصيات البحث:

يوصي الباحث بضرورة الاعتناء بفلسفة الفارابي وتسليط الضوء على الجانب النقدي في فلسفته السياسية، وتوظيف مشروعه للمدينة الفاضلة لخدمة الحياة الفكرية المعاصرة.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

أولاً، المصادر من الأقدم للأحدث:

- (١) أفلاطون: جمهورية أفلاطون، ترجمة حنا خباز، بيروت لبنان، دار القلم، ط ٥، ١٩٨٥ م.
- (٢) أرسطوطاليس، السياسة، ترجمة: أحمد لطفي السيد، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٤٧ م.
- (٣) أبو نصر الفارابي: كتاب السياسة المدنية (مبادئ الموجودات)، حققه: فوزي متري النجار، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، ١٩٦٤ م.
- (٤)..... آراء أهل المدينة الفاضلة، حققه: البير نصري نادر، بيروت- لبنان، دار المشرق ط ٢، (المطبعة الكاثوليكية)، ١٩٦٨ م.
- (٥)..... فصول منتزعة، تحقيق: فوزي متري النجار، بيروت، دار المشرق، ط ١، ١٩٧١ م.
- (٦).....: تحقيق السعادة، حققه وقدم له وعلق عليه: جعفر آل ياسين، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، دار الأندلس، ١٩٨٣.
- (٧).....: تحقيق السعادة، قدم له: علي بو ملحم، القاهرة، دار الهلال للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٩٥ م.
- (٨).....: رسالة التنبيه علي سبيل السعادة، تحقيق: سحبان خليفات، عمان، الجامعة الأردنية، ط ٢، ١٩٨٧ م.
- (٩).....: إحصاء العلوم، قدم له وشرحه: علي بو ملحم، القاهرة، دار الهلال للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٦ م.
- (١٠).....: كتاب الملة ونصوص أخرى، حققه: محسن مهدي، بيروت، دار المشرق، ط ٢، ١٩٩١ م.
- (١١) ابن حزم: رسائل ابن حزم الأندلسي، حققه: احسان عباس، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ٢، ١٩٨٧ م.
- (١٢) ابن حزم: شذرات من كتاب السياسة، جمع: محمد إبراهيم الكتاني، مجلة تطوران المغربية، منشورات الجامعة المغربية، كلية الآداب، العدد الخامس، ١٩٦٠ م.
- (١٣) ابن باجه: تدبير المتوحد، حققه: معن زيادة، بيروت، دار الفكر، ط ١، ١٩٧٨ م.

(14) ابن رشد: تفسير ما بعد الطبيعة، تحقيق: موريس بويج، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٤٨م.

(١٥) تلخيص الخطابة، حققه: عبد الرحمن بدوي، بيروت، وكالة المطبوعات الكويت، دار القلم، ١٩٥٩م.

(16) الضروري في السياسة، مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ترجمة: أحمد شحلان، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٣، ٢٠١١م.

(17) تلخيص السياسة، تلخيص السياسة لأفلاطون (محاورة الجمهورية)، نقله إلى العربية: حسن مجيد العبيدي، دمشق، دار الفرق للطباعة والنشر، ط٢، ٢٠١١م.

(18) تهافت التهافت، حققه: سليمان دنيا، القاهرة، دار المعارف، ط٥.

(19) ابن أبي الربيع: سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق: ناجي التكريتي، بيروت، دار الأندلس، ١٩٨٣م.

(20) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، حققه: على عبد الواحد وافي، القاهرة، دار نهضة مصر، ط٧، ٢٠١٤م.

(21) ابن خلكان: ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه احسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٧٢م.

ثانياً، الكتب المترجمة:

(22) عبد الرزاق السنهوري: فقه الخلافة وتطورها لتصبح عصبه أمم شرقية، ترجمة: نادية السنهوري، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٣م، ص ٦٥.

(23) دي بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة: محمد عبد الهادي أبورية، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د.ت.

(24) يوجين ف. ميللر : ليو شتراوس وصحوة الفلسفة السياسية، في "أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة"، أنطوني دي كرسيني وكينيث مينوج المحرران، ترجمة: نصار عبد الله، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧.

ثالثاً، الكتب العربية:

(25) إمام عبد الفتاح إمام: الأخلاق .. والسياسة (دراسة في فلسفة الحكم)، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢م.

- (26) حميد خلف علي: أثر فلسفة الفارابي في فلسفة ابن خلدون، بيروت، دار الهادي، ٢٠٠٦م.
- (27) حورية توفيق مجاهد: الفكر السياسي من أفلاطون إلي محمد عبده، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة السابعة، ٢٠١٧م.
- (28) صلاح الدين بسيوني رسلان: الأخلاق والسياسة عند ابن حزم، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٥م.
- (٢٩) عاطف العراقي: الفلسفة العربية والطريق إلي المستقبل رؤية عقلية نقدية، الطبعة الرابعة، القاهرة، دار الرشاد، ١٩٩٨م.
- (٣٠) محمد محمود ربيع: الفكر السياسي الغربي، فلسفته ومناهجه من أفلاطون إلي ماركس، الكويت، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٤م.

رابعاً، الرسائل العلمية:

- (٣١) جميل أبو العباس زكير: فلسفة السياسة عند ليو شتراوس، رسالة ماجستير (غير منشورة) إشراف: الأستاذ الدكتور/ محمد أحمد السيد، كلية الآداب، جامعة المنيا، ٢٠١٤.

خامساً، المجالات والدوريات العلمية:

- (٣٢) حنان عبد السلام العجيلي: دور فلسفة الفارابي وآثارها في الفكر الغربي، مجلة الجامعة، السنة الثالثة عشرة - العدد الثامن والعشرون، (نوفمبر - ٢٠٢٣).

سادساً، المقالات العلمية:

- (٣٣) سعيد الجبالي: نظرية الحرب العادلة عند الفارابي: يوتوبيا أم واقع؟ مجلة حكمة، بتاريخ: ٢٠٢١/٢/١٨. تم الدخول: ٢٠٢٥/١١/٤.

<https://hekmah.org/%D9%86%D8%B8%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D8%AF%D9%84%D8%A9>

- (٣٤) عبد الله إدالكوس: الأفق الإنساني في الفلسفة السياسية عند أبي نصر الفارابي، مؤمنون بلا حدود، قسم الدراسات الدينية، بتاريخ: ١٠ ديسمبر ٢٠١٤م. تم الدخول: ٢٠٢٥/١١/٤.

<https://www.mominoun.com/articles/2269>

سابعاً، الكتب الأجنبية:

(3٥) Leo Strauss: **Persecution and the Art of Writing**, the University of Chicago press, Chicago, USA, 1952.

(3٦) Tony Papert: **The Secret Kingdom of Leo Strauss**, Executive intelligence Review, www.larouchepub.com, May 2005.

Abstract

The impetus for this research emerged from a desire to examine the core of al-Farabi's political philosophy, its relationship to the historical conditions of his time, and its lasting impact on both Eastern and Western intellectual traditions. The study also aimed to respond to the unfounded accusations that portray al-Farabi as a mere idealist concerned only with envisioning a utopian city. Consequently, the central research problem was to uncover the true nature of al-Farabi's political thought, to assess how it was shaped by the circumstances of his era, and to trace its influence on subsequent philosophical developments across different civilizations. The research employed an inductive method through a close reading of al-Farabi's political writings in order to determine their impact on later thinkers. This was complemented by analytical and comparative approaches. The study investigated his influence on philosophers through a range of political themes and questions.

Among the key findings is the observation that certain political philosophies have faded due to their association with particular national identities, ideological movements, or political systems, while others have achieved enduring relevance. Owing to its profound connection with the human being as the creator of systems and civilizations, al-Farabi's political philosophy belongs to the latter category—one of the philosophical traditions that attained a form of intellectual immortality. His political thought remains influential in several respects: his conception of the human being as naturally social; his vision of the "prophet-ruler," who unites divine revelation with human wisdom; and his advocacy of a balanced exercise of power within the ideal city—one committed to defending the values of truth, justice, and goodness.

Keywords: Al-Farabi – The Ideal City – The Ruler – The philosopher ruler– Politics – Ethics.